مُرَادُ عبدِ القَاهِرِ الْجُرجَانيّ بالنَّظمِ

Faisal ALSALEH[*]

ملخّص

تناولت هذه المقالة دراسة تحليليّة لِنظريّة النّظم وأثرها في علم البلاغة العربيّة عند عبد القاهر الجُرجانيّ (ت.٤٧١هـ) والتي تُعتبَر من أهمّ النّظريّات البلاغيّة والنّقديّة حتّى عصرنا الحاضر. ركّز البحث على تحديد مفهوم النّظم عند عبد القاهر الجرجانيّ ومُراده منه، وهو وَضْع الكلام بما يقتضيه عِلم النّحْو، فربط مفهوم النّحو بالمعاني، وكذلك بيّن موقفه من قضيّة اللفظ والمعنى، وأنّهما مترابطان في الدلالة على الفكر، وأشار إلى سوء تقدير من سبقه من العلماء حول فهم ماهيّة اللفظ وترجيحهم له على المعاني، فرأى أنّ الألفاظ خدمُ المعاني، والمعاني في المقابل هي مالكة لسياسة الألفاظ لاحقة لها، إضافة إلى ذِكر صور من تحليلاته في ضوء تلك النّظريّة، مُستشهداً بالآي القرآنيّ وإعجازه، وبالشّعر ليثبت أفكاره وآراءَه، فقد أراد الجرجاني من خلال مفهوم النّظم أنْ يُبرز صور الإعجاز القرآنيّ من حيث الجانب اللّغويّ والجانب الدّلاليّ، وأنْ يُبحَث في خفايا اللغة وفي فكّ أسرارها وتتبّع جميع حركاتها من أجل الوصول إلى فهم دقيق وسليم لجوهر اللغة العربيّة.

الكلمات المفتاحيّة: *نظريّة النّظم، عبد القاهر الجُرجانيّ، اللّفظ والمعنى، الإعجاز، البلاغة.*

THE DESTINATION OF ABDUL QAHER Al-JURJANI IN THE SYSTEMS

Abstract

This article deals with an analytical study of systems theory and its impact on the science of Arabic rhetoric according to Abdul Qaher Al-Jarjani (d. 471 AH), which is considered one of the most important rhetorical and critical theories until our time. The research focused on defining the concept of systems according to Abd al-Qaher al-Jurjani and what he meant by it, which is to place speech as required by the science of grammar. He understood the nature of the utterance and their preference for it over the meanings, so he saw that the words serve the meanings, and the meanings in return are the owners of the politics of the words following them, in addition to mentioning images from his analyzes in the light of that theory, citing the Qur'anic verse and its miraculousness, and poetry to prove his thoughts and opinions, Thus, through the concept of systems, Al-Jurjani wanted to highlight the images of the Qur'anic miracles in terms of the linguistic aspect and the semantic aspect, and to research the secrets of the language and to decipher its secrets and

[*] Öğretim Görevlisi, Süleyman Demirel Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı, faysalsalih@sdu.edu.tr. ORCİD.org/0000-0002-4636-9503.

trace all its movements in order to reach an accurate and sound understanding of the essence of the Arabic.

Keywords: *Systems theory, Abdul Qaher Al-Jurjani, pronunciation and meaning, miracles, rhetoric language.*

ABDULKÂHİR CURCANİNİN NAZM NAZARİYESİNE DAİR GÖRÜŞLERİ

Öz

Abdülkâhir el-Cürcani (ö.471) bu çalışmada nazım nazariyesini ve Arap belagatine etkisini analitik bir yaklaşım şeklinde ele alır. Bu nazariye günümüze kadar yapılmış belagat ve eleştirel nazariyelerin en önemlilerindendir. Çalışma, Abdülkahir el-Cürcani'nin nazım anlayışını ve nazımdan amacını ele alır. O da kelamı nahiv ilminin gerektirdiği yere koymaktır. Nahiv ile manayı birbirine bağlar, lafız ve mana konusunda görüşünü açıklar. Bu ikisinin birlikte düşünceyi açıkladığını savunur. Lafzın neye işaret ettiğini takdir etmekte yanılgıya düşen ve anlamdan çok lafza önem veren kendisinden önceki âlimleri eleştirmektedir. Bu bağlamda lafızların anlamların hizmetinde olduğunu, anlamların da lafzın hedefleri doğrultusunda olduğunu ve ona tabi olduğunu belirtir. Fikir ve görüşlerini ispat etmek için Kuran-ı Kerim ayetlerinden, Kur'an i'cazlarından ve şiirlerden örnekler sunar ve bu örneklerin çözümlemelerini yapar. El-Cürcani, Arapçayı daha iyi ve doğru bir şekilde anlamaya ulaşma, lafız anlayışı, dil ve delalet yolu, dilin gizli yönlerini, tüm hareketlerini araştırma ve sırlarını çözme yoluyla Kur'an ayatlerindeki i'cazı açıklamak istemiştir.

Anahtar Kelimesi: *Nazım nazariyyesi, Abdulkahir el-Cürcani, lafız ve mana, icaz, belagat.*

مقدّمة

إنّ علم البلاغة من أشرف العلوم وأجلّها، فقد ظهر هذا العلم ليبيّن أسرار القرآن الكريم ومواطن الإعجاز فيه؛ وقد بذل العلماء جهوداً عظيمة ليرتقوا بهذا العلم الجليل، حتّى ظهر الشّيخ عبد القاهر الجُرجاني الذي أرسى بكتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) قواعد هذا العلم، فتكاملت علومها على يديه، وبلغت مرحلة من النّضج والاكتمال لم تصل إليه من قبلُ. وقد كان عبد القاهر مؤهّلاً لذلك، حيث تتلمذ على يد كبار النّحويّين في عصره، فدرس النّحو دراسة متعمّقة، وقد استفاد من دراسته في وضع نظريّته في النّظم.

ذهب كثير من اللّغويّين والباحثين إلى الخوض في مسألة فهم الكلام وتقسيمه إلى لفظ ومعنى؛ ورجّح بعضهم أن يكون المعنى هو الأصل في كشف السّياق العام للفكر، بينما ذهب البعض الآخر إلى ترجيح اللّفظ واعتباره أُسَّ الأساس في فهم النّص وتحليله.

إنّ للمعنى شِقّينِ، الشّق الأوّل يقودنا إلى فهم ظاهر اللّفظ على حاله دونما حاجة إلى تأويل أو إعمال للعقل في إدراكه؛ أمّا الشّق الثّاني يحمل دلالةً على أنّ للمعنى معنًى آخر أعمق وأدق، وأُصطلح على تسميته **بِمعنى المعنى**.

لقد كان القرآنُ الكريم مكمنَ تحليلات العلماء وأهل اللغة، وأصبح شغلهم الشّاغل لبيان المراد من ألفاظه ومعانيه وصولاً إلى الفهم السّليم والدّقيق للمراد من آيات الله وبيانه واليقين بإعجازه.

امتلك التّصوير الفنّي الرّصين في عبارات القرآن الكريم مكانة مُثلى انفرد بها عن باقي التّراكيب والكلام، ومن هنا رأى **عبد القاهر الجرجانيّ** أنّ أسلوب القرآن يختلف عن بقيّة الأساليب من حيث المبنى والمعنى؛ فجاءت نظريّته (النّظم) مبيّنةً مرتكزات هذا التّصوير، و شارحةً مراده من طرحها، في سبيل كشف جماليّات الكلام وربط اللّفظ بالمعنى لصوغ كلام منظوم يُعبّر عن رؤية وفكر.

لقد تناولتْ بعضُ المقالات نظريّة النّظم دراسةً لكن من وجهة أخرى؛ ألا وهي تأثيرها في علم البيان بشكل عام، دون التّطرّق إلى مضمونها الّذي أراده الجُرجانيّ؛ كما ذهب بعضها الآخَر إلى دراسة النّظريّة من مِنظار علم اللّسانيّات الحديث، هادفةً من وراء ذلك إلى إثبات حقيقة مفادها أنّ الفكر اللّغويّ العربيّ ذو تقعيد علمي يوازي بل يُضاهي الفكر اللّغويّ الغربيّ.

إنّ أهميّة الدّراسة في هذه المقالة، تكمن في تِبيان مراد عبد القاهر بالنّظم من خلال التّوقّف عندها بالتّحليل والدّرس؛ وكونها تُعتبر من أهمّ النّظريات البلاغيّة والنّقديّة، ممّا كان مُحفّزاً لي ومُشجّعاً لأكتب هذا البحث الذي جاء بعنوان **"مُراد عبد القاهر الجرجانيّ بِالنّظم"**.

الدّراسات السّابقة

1- **نظريّة النّظم عند عبد القاهر الجُرجانيّ وتأثيرها في دراسته للصّورة البيانيّة**، المؤلّف: حبيب الله علي إبراهيم علي، جامعة أم درمان الإسلاميّة.

2- **نظريّة النّظم الجُرجانيّة نظير كُفء للدّراسات اللّسانيّة الحديثة – دراسة مُقارنة -**، المؤلّف: صفيّة بن زينة، مخبر نظريّة اللّغة الوظيفيّة (جامعة الشّلف) الجزائر، مجلّة ريحان للنّشر العلميّ، العدد: 11، 2021/6/6م

3ـ **الدّراسات الحديثة ونظريّة النّظم عند عبد القاهر الجُرجانيّ**، المؤلّف: بشرى تاكفراست، مجلّة جامعة ابن يوسف، المغرب، العدد: 4، 2005م

عبد القاهر الجُرجانيّ

أ- مولده ونشأته ووفاته

أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرّحمن الجرجانيّ النّحوي[1]، من أهل جُرجان[2]، وُلد فيها لأسرة فارسيّة، الغالب فيها أنها كانت فقيرة، ولم تعتنِ بتسجيل يوم وولادة طفلها، فظلّ هذا اليوم مجهولاً.[3]

ظلّ مقيماً بجرجان يُفيد الرّاحلينَ إليه إلى أنْ تُوفّي[4] سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقيل أربعٍ وسبعين وأربعمائة[5] وكان فقيهاً على مذهب الشّافعيّ، ومتكلّماً على طريقة الأشعريّ، أخذ النّحو عن الشّيخ أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسيّ ابن أخت الشّيخ أبي علي الفارسيّ، ولم يأخذه عن أحدٍ غيره، لأنّه لم يخرج من بلده.[6]

كان الجرجانيّ شديد التّديّن وَرِعاً، قِيل إنّ لِصّاً دخل عليه وهو يصلي فأخذ جميع ما وجد والجرجانيّ ينظر إليه ولم يقطع صلاته.[7]

ب ـ مكانته العلميّة والثّقافيّة

لقد نشأ الجرجانيّ وَلُوعَاً بالعلم مُحبّاً للثّقافة، أقبل على الكتب وتتلمذ عليها بعد أستاذه أبي الحسين الفارسيّ، فقرأها بفكرٍ واعٍ، واقفاً أمام نُصوصها، كشأن الطّالب الذي يعتمد على نفسه في القراءة والتّحصيل.[8]

وكان عبد القاهر قد وَرِث جهود العلماء في أربعة قرون، فحذق الثّقافة الإسلاميّة بكل أبعادها، من علوم القرآن الكريم وكل ما دارت حوله من مباحث ودراسات، واطّلع على المذاهب الدّينيّة التي عُرِفت من قَبْلُ، كالمذهب الشّافعيّ والحنبليّ والمالكيّ والظّاهريّ، فأتقن الشّافعيّة وبرع في فلسفة المذهب الأشعريّ، وورث أيضاً المذاهب العقديّة من أهل سنّةٍ قد اتّخذوا القرآن والحديث إماماً لهم؛ وأشاعرة حاولوا أنْ يوفّقوا بين السّنة والعقل؛ ومعتزلة حكّموا العقل في مسائل العقيدة، و روافض وغيرهم؛ وكان مُلمّاً بالدّراسات المنطقيّة من تقسيمات كما فعل في كتابه "أسرار البلاغة"، ويُرى بأنّ له معرفة بلغاتٍ متعدّدة غير العربيّة، كالفارسيّة والتّركيّة والهنديّة كما أنّه يُلم بالثّقافة اليونانيّة.[9]

وممّا اطّلع عليه كتاب **الخطابة** لأرسطو ـ كما قال البعض ـ فأخذ عنه صحة تأليف الكلام وما ينبغي أنْ يُراعى فيه من تقديم وتأخير وغيره.[10]

ويدل على ثقافة عبد القاهر وسِعة اطّلاعه، نقلُه في كتبه عن كثير من العلماء كَسيبويه والجاحظ وأبي عليّ الفارسيّ وابن قتيبة وقُدامة بن جعفر والآمديّ والقاضي الجرجانيّ؛ ومُختاراته الشّعريّة للمتنبّي وأبي تمّام والبُحتري،

---

[1] ـ السّيوطي، جلال الدّين، **بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصريّة ـ بيروت، ج2- ص 106.
[2] ـ **جُرْجَان**: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان، كثيرة المياه، يُنظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر ـ بيروت، ج2، ص 119.
[3] ـ بدوي، أحمد، **عبد القاهر الجرجانيّ وجهوده في البلاغة العربيّة**، المؤسّسة المصريّة العامّة، ط2، ص 5.
[4] ـ **بغية الوعاة**، ج2، ص 106
[5] ـ **عبد القاهر الجرجانيّ وجهوده في البلاغة العربيّة**، ج2، ص 106
[6] ـ **بغية الوعاة**، ج2، ص 106
[7] ـ ابن قاضي، شهبة، **طبقات الشافعيّة**، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، مؤسسة دار الندوة، بيروت، 1407هـ، ج1، ص 259.
[8] ـ يُنظر: **عبد القاهر الجرجانيّ وجهوده في البلاغة العربيّة**، د. أحمد بدوي، ص7.
[9] ـ زهران، بدوي، **عبد القاهر الجرجانيّ المُفتَن في العربيّة ونحوها**، دار المعارف، 1986م، ص 18 - 19.
[10] ـ حسين، طه، **مقدمة نقد النّثر لِقدامَة**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1402هـ، ص 14.

ممّا يدل على أنّه تثقّف ثقافة أدبيّة نحويّة إلى جانب ثقافته الدِّينيّة؛ وإنْ كان الذي يظهر أنّ الغالب عليه هو النّحو، وقد كان يُلقّب بالنّحْوي ويُعَدّ من أكابرهم، ومنه استمدّ نظريّته في البلاغة التي أُشتهر بها.[11]

فنرى أنّ ثقافة عبد القاهر لم تكن إلا صورة صادقة لعصرٍ امتزجت فيه الثّقافات المتنوّعة والمختلفة من عربيّةٍ وفارسيّةٍ وهنديّةٍ ويونانيّةٍ، بسبب احتكاك الحضارات الإنسانيّة ببعضها.[12]

لقد أُعتُبِرَ الجرجانيّ من أئمّة اللّغة والنّحو والأدب، ومكانته كبيرة في تاريخ البلاغة فقد عُدّ رائداً لها؛ وللجرجانيّ مصنّفات كثيرة ومتنوّعة بتنوع ثقافته، قُرآنيّة ونحويّة وبلاغيّة أهمّها:

المُغني: شرح للإيضاح في ثلاثين مجلداً، **المُقتصد**: مختصر كتابه المغني، **العوامل المائة**: كتاب في النحو، **الجُمل**: شرح لكتابه العوامل، **التّلخيص**: مختصر كتاب الجمل، إعجاز القرآن الكبير والصّغير، **أسرار البلاغة**: في علمي البيان والمعاني، **العُمدة** في التّصريف، **الإيجاز**: شرح للإيضاح، **الرّسالة الشّافعيّة**: في إعجاز القرآن وتُعتبر مقدمة لدلائل الإعجاز، **دلائل الإعجاز.**

مراد عبد القاهر بالنّظم

أ- تحديد عبد القاهر للنّظم وبيان مراده منه.

النّظم **لغةً**: التّأليف، نَظَمَهُ يَنْظُمُهُ نَظْمَاً، ونَظَمَهُ فانتَظَمَ وتَنَظّمَ، ونَظَمَ اللؤلؤَ أيْ جَمَعَهُ في السّلك، ومنه نظمتُ الشّعرَ، ونظمَ الأمرَ على المَثَل، وكلّ ما ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعضٍ فقد نظمتَهُ.[13]

وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجُمل مُترتّبة المعاني مُتناسبة الدّلالات على حسب ما يقتضِيه العقلُ.[14]

لقد كان مُصطلح النّظم شائعاً عند الأشاعرة الّذين ينتمي إليهم عبد القاهر الجرجانيّ، ويجعلونه مَنَاط إعجاز القرآن الكريم، وكان الجاحظ أوّل من استخدم هذا الاصطلاح وعلّل به الإعجاز القرآنيّ؛ أمّا الجبائيّ المعتزليّ فقد وضع مكانه الفصاحة، وردّها إلى حُسن اللّفظ والمعنى؛ وقد نفى القاضي عبد الجبّار أن يكون مرجع الفصاحة إلى اللّفظ أو المعنى أو الصورة البيانيّة، بل ردّها إلى الصّياغة النّحويّة والأسلوب.[15]

لقد ظهر عبد القاهر مستفيداً مما ذكره سابقوه، فظهرتِ النّظرية عنده ناضجة متكاملة، وقد كان النّظم عنده مَناط الإعجاز القرآنيّ كما ذكرنا آنفاً.

فالنّظم كما عرّفه الجرجانيّ: ليس إلّا أنْ تضع كلامك الوضعَ الذي يقتضيه "علم النّحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي لك لا تُخِلُّ بشيء عنها.[16]

ويقول في مكان آخر: واعلمْ أنّ من الكلام ما أنتَ ترى المزيَّة في نظمه والحسنَ كالأجزاء من الصّبغ تتلاحق وينضمّ بعضها إلى بعض حتّى تكثر في العين.[17]

---

[11] ـ يُنظر: **عبد القاهر وجهوده في البلاغة العربيّة**، د. أحمد بدوي، ص 7 ـ 8.
[12] ـ مراد، وليد محمد، **نظريّة النّظم وقيمتها العلميّة في الدّراسات اللّغويّة عند عبد القاهر الجُرجانيّ**، دار الفكر، 1403هـ ـ 1983م، ط1، دمشق، سوريا، ص 49.
[13] ـ ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، ج12، ص 578.
[14] ـ الجرجاني، علي بن محمّد، **التّعريفات**، دار الكتاب، بيروت، 1423هـ، ص 191.
[15] ـ عزّام، محمد، **مصطلحات نقديّة من التّراث الأدبيّ العربيّ**، وزارة الثّقافة، دمشق، 1995م، ص 515.
[16] ـ الجرجانيّ، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**ـ تحقيق محمود شاكر، ص 81.
[17] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 88.

يقول **أحمد أمين** عن كلام الجرجانيّ في النّظم:

من مميّزاته أنّه ربط النّحو في المعاني، فنفثَ في النّحو روحاً لم تكن معروفة من قبلُ، ولا جرى الناس عليه فيما بعد، وعنده أنّ لتركيب الكلام أو كما نسمّيه نحن اليوم الأسلوب شأناً كبيراً في تقريب المعنى أو إبعاده، وحسن الوقع أو استهجانه.[18]

ب ـ موقفه من قضيّة اللّفظ والمعنى وردّه على أنصارهما.

لقد شُغل النّقّاد بقضيّة اللّفظ والمعنى، فتناولوها بالبحث؛ وذهبوا فيها مذاهباً مختلفة، منهم مَن أعلى من شأن اللّفظ وأهمل المعنى، ومنهم أعلى شأن المعنى وأهمل اللّفظ، ومنهم من ذهب مذهب المتوسّط بينهما.

وصلتْ قضيةُ اللّفظ والمعنى إلى عبد القاهر بصورة لم ترضِه، فأخذ على عاتقه تصحيح مفاهيمهم المُضطربة، ويقول في ذلك:

" قد بلغْنَا في مُداواة النّاس من دائهم، وعلاج الفساد الذي عرض في آرائهم كلّ مبلغ، وانتهينا إلى كلّ غاية، وممّا ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذُكرٍ، أنّه لا يُتصوَّر أنْ يتعلّق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجرّدة من معاني النّحو، فلا يقوم في وَهْم ولا يصحّ في عقل أنْ يتفكّر مُتفكّر في معنى (فِعْلٍ) من غير أن يريد إعماله في (اسم) ولا أن يتفكّر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعماله في (فِعْلٍ) ".[19]

1ـ قيمة اللّفظ عند عبد القاهر:

انزعج عبد القاهر من تقدير مَن سبقَه للألفاظ، وتقديمهم لها على المعاني، وجعلهم للألفاظ صفات ومميّزات لم يتقبّلها ذهنه. فرأى أنّ الانحياز للّفظ قتلٌ للفكر[20]، فقرّر أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة ولا من حيث هي كَلِم مفردة؛ وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللّفظيّة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلّق له بصريح اللّفظ، ومما يشهد لذلك أنّك ترى كلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر.[21]

كما أنّه جعل الألفاظ خدم المعاني والمُتصرّفة في حكمها، والمعاني هي المالكة سياستها، المُستحقّة طاعتها، فمن نصر اللّفظ على المعنى كان كمن أزال الشّيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مَظنّة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العَيب، والتّعرّض للشَّين، ولهذه الحالة كان كلام المُتقدّمين.[22]

ويؤكّد هذه الفكرة مرة أخرى فيقول:

وأنّك إذا فرغتَ من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أنْ تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتّب لك بِحُكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة لها.[23]

---

[18] ـ أمين، أحمد، **النّقد الأدبي**، دار الكتاب، بيروت، 1387هـ، ط4، ج2، ص 486

[19] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 410.

[20] ـ يُنظر: عبّاس، إحسان، **تاريخ النّقد العربيّ عند العرب**، دار الشّروق، عمّان، ط3، 2001م، ص 429.

[21] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 46.

[22] ـ الجُرجانيّ، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد الفاضليّ، المكتبة العصريّة، بيروت، 1424م، ص 11.

[23] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 54.

إذاً يستحسن عبد القاهر اللّفظ بشرط أن يستحق المَزيّة والشّرف، وذلك ضمن شروط في داخل التّعبير، وأهمّها حسن تلاؤم معنى اللّفظة مع معنى الألفاظ المجاورة لها، ومراعاة ترتيب المعاني في النّفس ثم اختيار الألفاظ الدّالة عليها.

يقول **عبد القاهر**: " فلو كانت الكلمة إذا حَسُنت، حَسُنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقّت المَزيّة والشّرف واستحقّت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أنْ يكون السّبب في ذلك حالٌ لها مع أخواتها المجاورة لها في النّظم لما اختلف بها الحال ولكانت إمّا أن تحسن أبداً أو لا تحسن أبداً ".[24]

كما أنّه لاحظ أنّ اللّغة تقوم على العلاقة بين الألفاظ وليس على الألفاظ المجرّدة، فقال:

" اعلم أنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللّغة لم تُوضَع لتُعرَف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَم بعضُها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد.[25]

فليس المهم في اللّغة الألفاظ مجردة، بل المهم هو الصّلة بين هذه الألفاظ والتي تقوم عليها.

2ـ قيمة المعنى عند عبد القاهر:

قد يُشْعَر من حديثنا عن مكانة اللّفظ عند عبد القاهر أنّه انتصر للمعاني وأهمل الألفاظ، وهذا ليس صحيحاً لأنّنا نجده يقول:

" اِعلمْ أنّ الدّاء الدّوي والذي أعيا أمرَه في هذا الباب غلطُ من قدّم الشِّعر بمعناه وأقلَّ الاحتفال باللّفظ، وجعل لا يعطيه من المزيّة إنْ هو أعطى إلّا ما فَضُلَ عن المعنى، يقول ما في اللّفظ لولا المعنى وهل الكلام إلّا بمعناه، فأنت تراه لا يقدّم شِعراً حتى يكون قد أُودِع حكمةً أو أدباً واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر".[26]

فهو يُنكر أن يكون للمعنى فضلٌ على اللّفظ حتى وإن كان هذا المعنى مُتضمّناً لحكمة أو أدب أو معنى نادر أو تشبيه غريب، فلا مزيّة للمعنى دون الصّياغة.

ويقرّر أنّه لا يكون لإحدى العبارتينِ مزيّة على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبها.

وسبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تُعمَل منها الصّور والنّقوش، فكما أنّك ترى الرّجل قد تُهدى في الأصباغ التي عمل منها الصّورة والنّقش في ثوبه الذي نُسج إلى ضرب من التخيّر والتّدبّر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفيّة مزجه لها وترتيبه إيّاها إلى ما لم يهتدِ إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشّاعر والشّاعر في توخّيهما معاني النحو ووجوهه.[27]

فالمعنى عنده كل ما تولّد من ارتباط الكلام بعضه ببعض، فهو الفكر والإحساس والصّورة والصّوت، وهو كل ما ينشأ عن النّظم والصّياغة من خصائص ومزايا.[28]

كان أمامَه (الجُرجانيّ) مستويانِ عليه أنْ يتحرّك بينهما وأنْ يوفّق بين مُقتضياتهما، فهو بين كلام لفظيّ منطوق يُمكن ملاحظتُهُ، ونشاط عقليّ لا يمكن أنْ يقع تحت طائلة المُلاحظة؛ أيْ أنّه كان يسعى للجمع بين النّقيضينِ، وعلى

---

[24] ـ المرجع السابق، ص 55.
[25] ـ المرجع السابق، ص 391.
[26] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 194.
[27] ـ المرجع السابق، ص 82
[28] ـ العشماوي، محمد، **قضايا النّقد الأدبيّ بين القديم والحديث**، دار الشّروق، القاهرة، 1414هـ، ص 300.

الرّغم من أنّ الكلام الملفوظ لم يكن يهمّه في حدِّ ذاته، فإنّه الشّيء الوحيد الّذي يقبل الملاحظة؛ ومن هنا آثَرَ الرّجُل توجيه دراسته إلى ما بين المفردات من علاقات، بوصفها مُجسّدة للنّشاط العقليّ ومُصوّرة له.[29]

ج ـ صور من تحليلات عبد القاهر على ضوء نظريّة النّظم.

لقد كان عبد القاهر في حديثه يستشهد بالآي القرآنيّ والشّعر ليُثبت أفكاره وآراءَه، ثم يقوم بتحليل الشّواهد وفق نظريّاته التي يريد أن يثبتها للقارئ، وفي معرض حديثنا أذكر تحليلات عبد القاهر الجرجانيّ لِنصّينِ من القرآن، والآخَر من الشّعر على ضوء نظريّته في النّظم.

الصّورة الأولى:

في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [30]

يقول الشّيخ عبد القاهر: فتجلّى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع! أنّك لم تجدْ ما وجدتَ من المزيّة الظّاهرة والفضيلة القاهرة إلّا لأمرٍ يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وأنْ لم يعرض لها الحُسن والشّرف إلّا من حيث لاقت الأولى بالثّانية والثّالثة بالرّابعة وهكذا، إلى أن تستقرِيها إلى آخرها، وأنّ الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها، فيؤكّد لنا أنّ فصاحة اللّفظة لا تظهر إلّا باعتبار مكانها من النّظم وحسن ملائمة اللّفظة لجارتها، ثُمّ يضع لنا ميزاناً نقديّاً حكيماً لإثبات هذه الدّعامة وأثرها في نظريّة النّظم؛ وهو ما يمكن العزل النّقدي الفنّي، بحيث تُعزل الكلمة عن أخواتها في التّركيب، فنحسّ ونشعر بفقدانها لِحسنها ورونقها.[31]

ويقول:

"إنْ شككتَ فتأمّل هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخذت من بين أخواتها، وأُفردت لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؛ قُل: " ابلعي " واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. ومعلوم أنّ مبدأ العَظَمَة في أنْ نودِيَت الأرض ثُم أُمِرتْ ثُم أنْ كان النّداء بـ " يا " دون " أي " نحو: يا أيّتها الأرض...إضافة الماء إلى الكاف دون أنْ يُقال: ابلعي الماء؛ وأنْ أتبعَ نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ونداء السّماء وأمرها كذلك بما يخصّها. وقيل: وغيض الماء، فجاء الفعل على صيغة " فُعِلَ " الدّالة على أنّه لم يغض إلّا بأمر آمرٍ وقُدرة قادر، تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: قُضِيَ الأمرُ؛ وذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو: استوت على الجُودِيّ... إضمار السّفينة قبل الذّكر كما هو شرط الفخامة والدّلالة على عِظَم الشّأن ومُقابلة "قيل" في الخاتمة بـ " قيل " في الفاتحة.

أ فنرى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤكَ بالإعجاز روعةً وتحضُركَ عند تصورها هيبةٌ تُحيط بالنّفس من أقطارها تعلّقاً باللّفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النّطق أمْ كلّ ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتّساق العجيب، فقد اتّضح إذاً اتّضاحاً لا يَدَع للشّك مجالاً أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مُجرّدة ولا من حيث هي كَلِم مفردة؛ وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخِلافها في ملائمة معنى اللّفظة لمعنى التي تليها".[32]

---

[29] ـ عبد المُطّلب، محمد، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجُرجانيّ**، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1995م، ص 59

[30] ـ سورة **هود**، الآية 44.

[31] ـ الظهار، نجاح، **نظريّة النّظم عند الشّيخ عبد القاهر الجُرجانيّ**، مكتبة الرشد، ط1، 1425هـ، ص 39.

[32] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 46

صحيح أنّ نظريّة النّظم وُلِدت مِن رَحِم تفسير القرآن الكريم، ولكنّ الجُرجانيّ لم ينظر إليها باعتبارها تخصّ فقط الدّراسات القرآنية بلْ إنّه حاول أنْ يكون القرآن الكريم كآليّة استدلال على تنظيره للبلاغة وأوجه إعجاز اللّغة العربيّة.[33]

الصّورة الثّانية:

وهي تحليل عبد القاهر لأبيات شعريّة، لكنّه لم يلج إلى الأبيات قبل أن هيّأ المتلقّي ليترك التّشاغل عنها، فيقول:

" اعمَدْ إلى ما تواصفوه بالحسن، وتشاهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من أجل النّظم خصوصاً دون غيره ممّا يستحسن له الشِعر أو غير الشّعر ... وتأمّله ".[34]

انظر إلى قول **البُحتريّ** (من المُتقارب):[35]

بَلَونَا ضَرَائِـــبَ مَن قد نَرَى فمَا إنْ رَأَيْنَــا لِفَتــحٍ ضَرِيباً

هُوَ المَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الحَادِثَا تُ عَزْمَاً وَشِيكاً وَرَأْيَاً صَلِيباً

تَنَقَّـل في خُلُقــي سُـؤْدَدٍ سَمَاحَـاً مُرَجَّـى وَبَأسـاً مَهِيباً

فكَالسّيفِ إنْ جِئْتَه صَارِخاً وكَالبَحْـرِ إنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيباً

فإن رأيتها قد راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازاً في نفسك، فعُدْ فانظر في السّبب واستقصِ في النّظر، فإنّك تعلم ضرورة أنّ ليس إلّا أنّه:

قدّم وأخّر، وعرّف ونكّر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرّر، وتوخّى على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النّحو، فأصاب في ذلك كله... لُطف موضعِ صوابه، وأتى مأتى يُوجب الفضيلة.[36]

ثم يبدأ بذكر النّكت البلاغيّة والمواضع التي حَسُنَ فيها النّظم **فيقول**: أفلا ترى أنّ أوّل شيء يروقك منها قوله: " هو المرء أبدت له الحادثاتُ " ثُم قوله: " تنقل في خلقي سؤدد " بتنكير السّؤدد وإضافة الخلقي إليه. ثُم قوله: " فكالسّيف " وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ، لأنّ المعنى: لا محالة فهو كالسّيف. ثم تكريره الكاف في قوله: "وكالبحر". ثم أن قَرَنَ إلى كل واحد من التّشبيهينِ شرطاً جوابه فيه...وأخرجَ من كل واحد من الشّرطينِ حالاً على مثال ما أخرج من الآخر، وذلك قوله: " صارخــاً " هناك " ومستثِيبــاً " هاهنا...لا ترى حُسناً تنسبه إلى النّظم ليس سببه ما عددت أو ما هو في حكم ما عددت، فاعرف ذلك.[37]

الخـاتمـــــة

لقد توقّفتُ في هذا البحث عند مراد الشّيخ عبد القاهر **الجرجانيّ** بالنّظم، وعرّفت بحياته الشّخصيّة إيماناً منّي بأنّ الوقوف على حقيقة هذا الرّجُل من الجانب الشّخصيّ تُعين على الوقوف بصورة أعمق على شخصيّته العلميّة وجهوده البلاغيّة والنّقديّة.

---

[33] ـ دحمور بختي، زهير، **قراءة في مشروع عبد القاهر الجُرجانيّ**، منشورات زخّة الشّهب، ط1، 2019م، ص 63- 64

[34] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 79.

[35] ـ **البحتري، ديوانه**، تحقيق: كرم البستانيّ، دار بيروت، 1400هـ، ج1، ص 107.

[36] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 80.

[37] ـ **دلائل الإعجاز**، ص 80.

كما يجب أنْ ندرك أنّ نظريّة النّظم في علم البلاغة وعلاقتها بعلم النّحو كان لها الأثر الجليّ في إبراز صور الإعجاز القرآنيّ من الجانب اللّغويّ والدّلاليّ؛ فلقد أراد الشّيخ عبد القاهر من خلالها ـ **نظرية النّظم** ـ أنْ نُدقّق في البيئة اللّغويّة وندرك أسرارها ونعي كلَّ حركاتها، لنفهم سر إعجاز القرآن ونتذوّق جمال عربيّتنا.

وقد خرج البحث بالنّتائج التّالية:

1ـ مُراد عبد القاهر الجرجانيّ بالنّظم، هو أنْ يُعلّق الكلام بعضه ببعض، لأنّ كلَّ كلمة مُسبَّبة عن كلمة أخرى.

2ـ يذهب الجرجانيّ إلى أنّ سبك الكلام تبعاً لقواعد النّحو وأبوابه المتعدّدة يرسم مضمون النّظم.

3ـ إنّ ماهيّة الكلام تكمن في الكلام النّفسيّ (المعنى)، ويأتي الكلام اللّفظيّ صورةً مُطابقة له.

4ـ اللّفظ عند الجرجانيّ رمزٌ وإشارة إلى المعنى، وباجتماعهما يتشكّل الفكر ويُنتج.

5ـ اشتمل القرآن الكريم على أبهى صُور الإعجاز، كونه معجزة إلهيّة، ومن المنطق أنْ يتفكّر العقل بعَظَمَة البلاغة والبيان في ثناياه.

6ـ يرى الجرجانيّ أنّ البلاغة والفصاحة يتعلّق كلّ منهما بالمعاني، وذلك من خلال الارتباط بالألفاظ وخصائصها.

7ـ يقوم المتكلّم بتنظيم المعاني في نفسه بدايةً، ومن ثَمّ يأتي دور الألفاظ في عمليّة التّرتيب مشكّلةً كلاماً ونطقاً.

كانت هذه أهم النّقاط التي توصّلتُ إليها، فإنْ أصبتُ فمِن الله، وإنْ أخطأتُ فمِن نفسي.

المصادر والمراجع

ـ أمين، أحمد، **النّقد الأدبي**، دار الكتاب، بيروت، 1387هـ، ط4، ج2.

ـ البُحتريّ، **ديوانه**، تحقيق: كرم البستانيّ، دار بيروت، 1400هـ، ج1.

ـ بدوي، أحمد، **عبد القاهر الجُرجانيّ وجهوده في البلاغة العربيّة**، المؤسّسة المصريّة العامّة، ط2.

ـ الجُرجانيّ، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد الفاضليّ، المكتبة العصريّة، بيروت، 1424م.

ـ .....، علي بن محمّد، **التّعريفات**، دار الكتاب، بيروت، 1423هـ.

ـ .....، الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**ـ تحقيق محمود شاكر.

ـ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر ـ بيروت، ج2.

ـ دحمور بختي، زهير، **قراءة في مشروع عبد القاهر الجُرجانيّ**، منشورات زخة الشّهب، ط1، 2019م

ـ السّيوطيّ، جلال الدّين، **بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصريّة ـ بيروت، ج2.

ـ ابن قاضي، شهبة، **طبقات الشّافعيّة**، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، مؤسّسة دار النّدوة، بيروت، 1407هـ، ج1.

ـ حسين، طه، **مقدّمة نقد النّثر لِقدامَة**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1402هـ.

ـ زهران، بدوي، **عبد القاهر الجُرجانيّ المُفتَن في العربيّة ونحوها**، دار المعارف، 1986.

ـ الظهار، نجاح، **نظريّة النّظم عند الشّيخ عبد القاهر الجُرجانيّ**، مكتبة الرّشد، ط1، 1425هـ.

ـ عبّاس، إحسان، **تاريخ النّقد العربيّ عند العرب**، دار الشّروق، عمّان، ط3، 2001م.

ـ عبد المُطّلب، محمد، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجُرجانيّ**، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1995م.

ـ عزّام، محمد، **مصطلحات نقديّة من التّراث الأدبيّ العربيّ**، وزارة الثّقافة، دمشق، 1995م.

ـ العشماوي، محمد، **قضايا النّقد الأدبيّ بين القديم والحديث**، دار الشّروق، القاهرة، 1414هـ.

ـ مراد، وليد محمد، **نظريّة النّظم وقيمتها العلميّة في الدّراسات اللّغويّة عند عبد القاهر الجُرجانيّ**، دار الفكر، 1403هـ ـ 1983م، ط1.

ـ ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، ج12.